الغزو المغولي كما صوره ياقوت الحموي

بشار عواد معروف

يعتبر الغزو المغولي للعالم الاسلامي من الاحداث المهمة ذات الاثر البالغ في التاريخ الاسلامي بكافة نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ٠ فقد استطاع جنكيزخان احد زعماء القبائل المغولية ان يوحد هذه القبائل التي كانت تسكن المنطقة الواقعة بين بحيرة بيكال في الغرب وجبال كنجان على حدود منشوريا في الشرق ٠ ونصب نفسه خاقانا عليها سنة ٦٠٣هـ ٠ وبدأ هذا الرجل توسعاته فاستولى على شمال الصين ثم اتجه بعد ذلك نحو البلاد الاسلامية(١) ٠

وكان العالم الاسلامي أبان الغزو المغولي يعج بعدد كبير من دول الطوائف ، وكانت أقوى دولة اسلامية هي دولة خوارزم التي كانت ذات موارد عسكرية ومالية ضخمة الا انها كانت خاضعة لطبقة عسكرية من اتراك ما وراء النهر لم يكن همها الا جمع المال بجميع الطرق الممكنة فاثارت كراهية السكان(٢) ٠ وكان سلطانها ، في الوقت الذي بدأ به المغول غزواتهم ، علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه (٥٩٦ـ٦١٧) ٠ وقد تمكن جنكيزخان ان يجهز على هذه الدولة الاسلامية بمدة وجيزة لم تزد على اربع سنوات (٦١٦ـ٦٢٠) مبتدأ بما وراء النهر ، ثم خراسان ٠

وقد كتب عدد من المؤرخين المسلمين عن بداية الغزو المغولي للعالم الاسلامي ؛ ومن هؤلاء : ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الاثير « ت ٦٣٠ هـ » في كتابه الكامل ، ومحمد بن احمد النسوي « ت ٦٤٧ هـ » الذي كان كاتبا عند آخر سلاطين خوارزم جلال‌الدين منكبرتي ، فكتب سيرة له هي « سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي » ٠ والجوزجاني ، مجدالدين ابو عمر عثمان بن سراج‌الدين محمد في كتابه ، الذي وضعه بالفارسية سنة ٦٥٨ هـ ، « طبقات ناصري » ثم علاء الدين عطا ملك جويني « ت ٦٨١ » في كتابه المشهور « جهان كشاسي » أي غازي العالم ٠ ومنهم أيضا رشيد الدين فضل الله الهمداني صاحب الكتاب المشهور « جامع التواريخ » وغيرهم كسبط بن الجوزي ، وتاج‌الدين السبكي وابن العبري ٠٠٠ الخ(٣) ٠

وسأحاول في بحثي هذا ان اقدم الصورة التي رسمها ياقوت الحموي للغزو المغولي مقارنة مع أهم تلك المصادر مبينا قيمتها جهد الامكان ٠

ولد شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي سنة ٥٧٤(٤) ببلاد الروم واسر وهو صغير ، وابتاعه ببغداد تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر ابراهيم الحموي ، وجعله معينا له في ضبط حساباته بعد ان رباه وعلمه . وفي سنة ٥٩٦ اعتقه مولاه على أثر نبوة فاشتغل بالنسخ بالاجرة . وبينما كان مسافرا الى كيش علم هناك ان مولاه قد فارق الحياة ، فعاد الى بغداد واعطى اولاد مولاه وزوجته ما ارضاهم به ، وبقيت بيده بعض الاموال صار يتاجر بها ويكسب عيشه عن طريق المتاجرة بالكتب(٥) .

سفره الى المشرق :

قضى ياقوت كثيرا من حياته متنقلا في البلدان سائحا فيها طلبا للرزق والعلم ، ومع ان الذين ترجموا له من المؤرخين لا يقدمون معلومات مفصلة عن سفراته ، الا ان المعلومات العرضية الواردة في كتابة « معجم البلدان » مكنتنا من أن نكون فكرة لا بأس بها عن رحلاته هذه واستطعنا بعد ذلك ان نبين الطريق الذي سار فيه الى المشرق وعودته الى الموصل هاربا من المغـــول .

وأول ذكر وجـدناه لياقوت في المشرق سنة ٦٠٧هـ . حيث كان في هراة(٦) كما ذكر انه كان في تبريز عام ٦١٠هـ(٧) . ويبدو انه رجع الى الموصل بعد ذلك ، اذ توجه منها الى دمشق وكان بها سنة ٦١٣(٨) . ومن هذه السنة تبدأ رحلة ياقوت الطويلة الى المشرق ؛ اذ حدث وهو بالشام ان قعد في بعض اسواقها وناظر بعض من يتعصب لعلي بن ابي طالب (رض) وجرى بينهما كلام ادى الى ذكره عليا (رض) بما لا يسوغ ، فثار عليه الناس فخرج من دمشق منهزما بعد ان بلغت القضية الى والي البلد ، ووصل الى حلب خائفا يترقب ، ولم يطمئن على نفسه فيها فخرج منها في جمادي الآخرة سنة ٦١٣ قاصدا الموصل متنقلا منها الى اربيل (اربل) ، وخاف ان يدخل بغداد ، لان المناظر له بدمشق كان بغداديا ، وخشي أن ينقل قوله فيقتل ، ولذلك سار الى خراسان(٩) . ويذكر ياقوت انه كان بنيسابور قاعدة خراسان في نفس السنة وهي سنة ٦١٣ هـ(١٠) ويبـدو انه بقي فيها مدة قصيرة(١١) غادرها بعد ذلك متوجهـــا الى مرو حيث استوطنها قرابة الثلاث سنوات(١٢) . ومن المحتمل انه تركها قبيل شهر رمضان(١٣) سنة ٦١٦هـ(١٤) متوجها الى خوارزم . فمر بمدينة درغان في رمضان من نفس السنة « وهي اول حدود خوارزم من ناحية أعلى جيحون دون أمل وعلى طريق مرو ايضا ... وبينها وبين جيحون نحو ميلين »(١٥) ومن هناك ركب سفينة في نهر جيحون متجها الى خوارزم فوصل مدينـــة ارثخشميش(١٦) . ويبدو ذلك من قوله عن هذه المدينة : « قدمت اليها في شوال سنة ٦١٦ ، قبل ورود التتر الى خوارزم بأكثر من عام ... وكنت قد وصلتها من ناحية مرو بعد ان لقيت من ألم البرد ، وجمود نهر جيحون

على السفينة التي كنت بها ، وقد أيقنت انا ومن في صحبتي بالعطب الى ان فرج الله علينا بالصعود الى البر .. »(١٧). ثم انه مر بعد ذلك بمدينة هزار أسب التي تبعد عن خوارزم ثلاثة أيام(١٨). ووصل خوارزم وبقي بها مدة(١٩) وكان موجودا بها حتى اواخر سنة ٦١٧ على ما يبدو(٢٠).

وحينما أخذت الاشاعات تنتشر عن قصد المغول لمدينة خوارزم هرب ياقوت مع الهاربين راجعا الى خراسان فمر ببليدة سبرني وهي آخر حدود خوارزم من ناحية اقليم شهرستان(٢١) ثم وصل الى بليدة شهرستان(٢٢) الواقعة على بعد ثلاثة اميال من مدينة نسا فوجد معظم أهلها قد جلوا عنها خوفا من المغول(٢٣) ولابد انه مر بنسا وهو في طريقه الى نيسابور . والظاهر ان ياقوت لم يمكث في نيسابور واستمر في هربه متجها نحو العراق فمر ببلدة سمنقان التابعة لنيسابور والواقعة بالقرب من جاجرم(٢٤) ثم وصل الى بيروزكوه الواقعة قرب دنباوند(٢٥) فالري(٢٦) فمدينة خلخال الواقعة في طرف اذربيجان متاخمة لجيلان(٢٧) فاردبيل(٢٨) ثم تبريز(٢٩) مجتازا ببحيرة ارمية(٣٠) فمدينة اشنة وهي آخر اذربيجان من جهة اربل(٣١) ثم وصل الى اربل في رجب من سنة ٦١٧هـ كما ذكر ابو البركات بن المستوفي في تاريخه الذي صنفه لاربل(٣٢) وانتقل بعدها الى الموصل(٣٣).

وقد لقي ياقوت في رحلته المتعبة هذه كثيرا من المشاق والمخاطر ، وصور ذلك أحسن تصوير في رسالته التي بعث بها الى الوزير جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي من الموصل فقال : « .. فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه ناكصا ، ومن الاوبة الى حيث تستقر فيه النفس بالامن آيسا ، بقلب واجب ، ودمع ساكب ، ولب عازب ، وحلم غائب ، فتوصل وما كاد ، حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار ، وابتداء واصطبار ، وتمحيص الاوزار ، واشراف غير مرة على البوار والتبار ، لانه مر بين سيوف مسلولة ، وعساكر مغلولة ، ونظام عقود محلولة ، ودماء مسكوبة مطلولة »(٣٤) ولم يبق بعد هذا في الموصل الا مدة يسيرة سار بعدها طالبا الوزير القفطي في حلب(٣٥) واستمر مقيما هناك . وفي سنة ٦٢٤هـ . توجه الى فلسطين(٣٦) ومصر(٣٧) ثم عاد الى حلب مرة أخرى حيث وافته المنية في العشرين من شهر رمضان سنة ٦٢٦هـ(٣٨) وكان قد وقف كتبه على مسجد الزيدي(٣٩) الذي بدرب دينار(٤٠) ببغداد ، وسلمها الى الشيخ عزالدين ابي الحسن علي بن الاثير المؤرخ المشهور صاحب تاريخ الكامل فحملها الى هناك(٤١) .

القيمة التاريخية لاخبار ياقوت عن المغول :

ان المعلومات التي يقدمها ياقوت عن غزو المغول للعالم الاسلامي مبعثرة في كتابه المعروف بمعجم البلدان(٤٢) الذي استطعت أن أجد فيه قرابة الثلاثين نصا بين طويل وقصير . يضاف الى ذلك رسالة بعث بها بعد هروبه

من وجه المغول واستقراره في الموصل سنة ٦١٧ هـ الى الوزير القاضي الاكرم جمال‌الدين ابي الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي الشيباني المتوفي سنة ٦٤٦(٤٣) وزير السلطان الظاهر بن صلاح الدين الايوبي صاحب حلب . والرسالة موجودة في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان(٤٤) الذي يقول انه نقلها من كتاب القفطي المسمى « انباه الرواة على انباه النحاة »(٤٥) لكني لم أجد الرسالة في كتاب القفطي الانف الذكر كما لم أجد ترجمة لياقوت في هذا الكتاب . ويحتمل ان في كتاب القفطي هذا نقصاً . ومما يلفت النظر ان هذا الكتاب لم يحتو على أي ترجمة تبدأ بحرف الياء . كما يحتمل أيضا ان القفطي قد ذكرها بأحد كتبه الاخرى(*) خاصة وان هذا الكتاب مختص بالنحويين فقط ولم يكن ياقوت من المشاهير في هذا العلم .

وعلى الرغم من قلة المعلومات التي جاء بها ياقوت الحموي عن الغزو المغولي للعالم الاسلامي الا انها تتميز بأهميتها البالغة ؛ فقد عاصر الرجل الاحداث وشهد بعضها وكان قريبا من البعض الآخر . وقد شهدنا كيف كان يفر من المغول بعد فتحهم لكل مدينة . يضاف الى ذلك اسفاره الطويلة الى بلاد المشرق الاسلامي التي مكنته من الاطلاع على هذه المناطق والاتصال بسكانها حتى أصبح عارفا بها مطلعا عليها وعلى ما كان يسود بين الناس من الاعتقادات وما يظهر من اشاعات .

أسباب الغزو عند ياقوت :

اعتبر ياقوت كغيره من الكتاب المسلمين ان المغول « صنف من الترك »(٤٦) ، ولم يبحث كثيرا في سبب هذا الغزو وعوامله . انما اعتبره كغيره ممن عاش في ذلك العصر غضبا من الله ، فقال عن ورود المغول الى اسفيجاب وتخريبهم لها : « وقد كان أهل تلك البلاد أهل دين متين ، وصلاح مبين ، ونسك وعبادة . والاسلام فيهم غض المجنى حلو المعنى يحفظون حدوده ، ويلتزمون شروطه . لم تظهر فيهم بدعة استحقوا بها العذاب والجلاء ، ولكن يفعل الله بعباده ما يشاء ، ويحكم بما يريد »(٤٧) فبين لنا بذلك ما ساد هذا العصر من الايمان بالقضاء والقدر وان الامور خيرها وشرها من الله تعالى الامر الذي ربما ادى على ما يبدو الى ضعف في نفوس كثير من الناس ، ومن ثم عدم قدرتهم الدفاع عن بلادهم دفاعا فيه الحماس والتضحية .

عوامل نجاح الغزو عند ياقوت :

وتبين لنا بعض النصوص التي اوردها ياقوت بعض العوامل التي ساعدت الجيوش المغولية على اجتياح المشرق الاسلامي بتلك السرعة المدهشة ؛ فأوضح الدور الذي قام به علاء‌الدين محمد بن تكش خوارزم

شاه وسياسته غير الحكيمة ، ومنها تخريب المدن وقتل الناس. قال ياقوت عن الشاش : « وقد خربت جميعها في زماننا . خربها خوارزم شاه محمد ابن تكش لعجزه عن ضبطها. وقتل ملوكها ، وجلا عنها أهلها ، وبقيت تلك الديار والاشجار والانهار والازهار خاوية على عروشها ، وانثلم من الاسلام ثلمة لا تنجبر ابدا »(٤٨) . ولقد فعل محمد بن تكش كل هذه الافعـال بتلك المدينة على الرغم من كونها احدى الثغور التي يجب أن تبقى قوية منيعة . كما أشار الى ذلك أيضا عند حديثه عن اسفيجاب فقال : « عجز عن حفظ تلك البلاد لسعة مملكتها فخرب بيده أكثر تلك الثغور وانهبها عساكره ، فجلا أهلها عنها وفارقوها باجياد ملتفتة واعناق اليها مائلة منعطفة ؛ فبقيت تلك الجنان خاوية على عروشها تبكي العيون وتشجي القلوب ، مهدمة القصور متعطلة المنازل والدور ... »(٤٩) .

وأيد ياقوت ابن الاثير فيما ذهب اليه من القول ان قضاء علاء الدين محمد بن تكش على الخطا ، الذين كانوا قد أسسوا دولتهم في التركستان منذ القرن السادس الهجري ، قد فتح الابواب عليـه وسهل الغزو المغولي لبلاده ، فقال عن علاء الدين محمد بن تكش : « فانه لما ملك ما وراء النهر وأباد ملك الخانية ، وكانوا جماعة قد حفظ كل واحد منهم طرفه ، فلما لم يبق منهم أحدا ، عجز عن حفظ تلك البلاد لسعة مملكتها . »(٥٠) وقال عند كلامه على منطقة ما وراء النهر بعد أن وصفها بالخير وكثرة الخيرات : « ولم تزل ما وراء النهر على هذه الصفة وأكثر الى أن ملكها خوارزم شاه محمد بن تكش بن الب ارسلان بن اتسز في حدود سنة ٦٠٠ فطرد عنها الخطا وقتل ملوك ما وراء النهر المعروفين بالخانية ، وكان في كل قطر ملك يحفظ جانبه، فلما استولى على جميع النواحي ولم يبق لها ملك غيره عجز عنها وعن ضبطها فسلط عليها عساكره فنهبوها وأجلوا الناس عنها(٥١) .

وأشار ياقوت الى انتشار النزاعات المذهبية في المشرق وما أدى ذلك من تخريب لبعض المدن(٥٢) كما انه يبـين لنا ما وصلت اليه الاعتقادات الدينية وكيف صار معنى الدين ابان تلك الفترة . وأشار الى ذلك الرعب الذي أصاب الناس وخوفهم من المغول حتى أخذوا يفرون أمامهم كالاغنام تاركين مدنهم قبل ورود المغول اليها وأمثلته على هذا كثيرة(٥٣) .

وعاب ياقوت على علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه هربه وتركه لبلاده طعمة بأفواه المغول يفعلون فيها ما يشاؤون فقال في رسالته للوزير القفطي : « ومن عجب العجاب ان سلطانهم المالك هان عليه ترك تلك الممالك. وقال لنفسه : اله وآلك ، والا فأنت في الهوالك ، واجفل اجفـال الرال ، وطفق اذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجال !! »(٥٤) .

حوادث الغزو

أما عن حوادث الغزو فلا يقدم لنا ياقوت معلومات مفيدة عن غزو

ما وراء النهر ، لكنه جاء بمعلومات لا بأس بهـــا عن فتح المغول لنيسابور قاعدة خراسان آنذاك لا أرى حاجة لذكرها ، انما أود الاشارة الى أمر ورد فيها هو ترديد ياقوت لاشاعة كانت سائدة تذهب الى ان : « علويا كان متقدما على أحد أبوابها راسل الكفار يستلزم منهم على تسليم البلد ويشرط عليهم انهم اذا فتحوه جعلوه متقدما فيه ، فأجابوه الى ذلك ففتح لهم الباب وأدخلهم فأول من قتلوا العلوي ومن معه »(٥٥) • والطريف في الامر ان كل من ابن الاثير(*) والنسوي(**) وجويني(***) لم يذكروا هذه الحادثة حينما تكلموا على فتح المغول نيسابور واستيلائهم عليها • ويحوم الشك حول هذا النص حتى ليكاد أن يجعل الباحث يؤمن انه موضوع مختلق ذلك لان ياقوت كان من المتعصبين جدا على العلويين كما رأينا(٥٦) ، كما انه يصدر قوله هذا بعبارة : « فزعم قوم » يضاف الى ذلك ان المؤرخين المعاصرين لم يذكروها أو يشيروا اليها على الاقل • ومهما يكن من أمر فان الذي يبدو لي ان الاشاعة كانت موجودة وهي محتملة الحدوث في تلك الظروف التي كان الناس فيها يبحثون عن سبب مباشر يبررون فيه سقوط المدينة ، ذلك الامر الذي ظهر بشكل عنيف على مر العصور متخذا من الوزير مؤيد الدين بن العلقمي وزير الخليفة العباسي المستعصم بالله سببا في سقوط بغــداد وذهاب الخلافة العباسية منها ، تلك التهمة التي بقيت عالقة به لمدة طويلة(٥٧) حتى ابان البحث العلمي المستند على الادلة خطل تلك التهـم وتبرئة ابن العلقمي منها(٥٨) •

وأشار ياقوت الى بعض أساليب المغول في الفتح والتخريب ، ومنهـا استعمال الفلاحين في كشف بعض المناطق وتهديمها للحصول على الدفائن ، فقال عند كلامه عن نيسابور : « وجمعوا عليها جموع الرستاق حتى حفروها لاستخراج الدفائن فبلغني انه لم يبق بها حائط قائم • »(٥٩) •

نتائج الغزو عند ياقوت

أما نتائج الغزو المغولي في كتابات ياقوت فهي مهمة ولا سيما التخريب الذي أصاب بلاد المشرق الاسلامي نظرا لمعاصرته وقربه من الاحداث •

لقد اعتبر ياقوت كابن الاثير(٦٠) وغيره من الكتاب المسلمين آنذاك ان الغزو المغولي مصيبة لم يسمع بمثلها من قبل و « التي لم يجر منذ قامت السموات والارض مثلها »(٦١) وهي « مصيبة ما دهي الاسلام قط مثلها »(٦٢) ثم هي « حادثة تقصم الظهر ، وتهدم العمر ، وتفت في العضد ، وتوهي الجلد ، وتضاعف الكمد ، وتشيب الوليد ، وتنخب لب الجليد ، وتسود القلب وتذهب اللب • »(٦٣) • وأشار الى ذلك التخريب الهائل الذي أصاب المشرق الاسلامي فقال عن الشاذياخ : « ثم خربها التتر ، لعنهم الله ، في سنة ٦١٧ فلم يتركوا بها جدارا قائما ، فهي الآن فيما بلغني تلول تبكي العيون الجامدة وتذكي في القلوب النيران الخامدة »(٦٤) ومثل هذا قال عن

هراة(٦٥) وسراو(٦٦) والجرجانية(٦٧) قصبة خوارزم واسفيجاب(٦٨) وغيرها من المدن والبلاد(٦٩) ٠

وبين ياقوت أمرا مهما هو ان المغول لم يخربوا المدن التي لم تقاومهم ولم يتعرضوا لاهلها فقال عن تبريز : « ومر بها التتر لما خربوا البلاد في سنة ٦١٨ فصالحهم أهلها ببذول بذلوها لهم فنجت من أيديهم وعصمها الله منهم »(٧٠) ٠

ومما يلفت النظر أيضا ويستحق الاهتمام هو اشارة ياقوت الى ان بعض المدن قد عادت الى ازدهارها بعدما أصابها الكثير من القتل والتخريب، ومثال ذلك ما قاله عن اردبيل بعد أن ذكر الاعمال الشنيعة التي قام بها المغول تجاه هذه المدينة : « والآن عادت الى حالتها الاولى وأحسن منها ، وهي في يد التتر »(٧١) وقوله عن مدينة بيلقان بعد ذكره لقتل التتر أهلها ونهبها وحرقها : « وهي الآن متماسكة »(٧٢) ٠

ومن هنا أصبح من الصعب علينا أن ننكر تخريب المغول للمدن وحرقهم الناس وقتلهم ٠ وعلى الرغم من وجود بعض المبالغات عند المؤرخين المسلمين في سعة هذا التخريب وشموله لكن يجب أن يفهم ان هذه المبالغات لم تأت عبثا ، انما هي صدى لهول ما أصاب المسلمين حتى انهم لم يشهدوا مثل هذا من قبل ولم يسمعوا عن شيء يشابهه ٠ كما اننا بنفس الوقت لانستطيع نكران اهتمام المغول ، بعد استقرارهم ، باعادة المدن ولو لبعض الشيء ٠ ولا ريب في ان ياقوت حينما قال عن بعض المدن انها عادت لازدهارها فهو يصور ما كان موجودا في زمانه ٠ وبعد كل هذا فان النصوص التي أوردها ياقوت تؤدي بنا الى الشك بالنظرية القائلة ان المغول كانوا يخربون المدن لخوفهم منها ولكونهم رعاة متعلمين على الحياة في البراري(٧٣) ، والا لما سمحوا بعودة ازدهار المدن بعد استيلائهم عليها ٠ أما تخريب الاسوار وعدم السماح ببنائها فانه أمر لا نستطيع البت فيه ويبقى الاحتمال فيه سائدا لمدة ليست بالقصيرة حتى استقرارهم التـــام وتعودهم الترف وانغماسهم في متاهات الحضارة ٠

« ملحق »

رسالة أبي عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي ، الحموي ، البغدادي الى القاضي الاكرم جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالواحد الشيباني القفطي وزير صاحب حلب ٠ كتبها عند وصوله الموصل سنة ٦١٧هـ هاربا من التتر ، يصف فيها حاله وما جرى له معهم(٧٤) ٠

والرسالة تتكون من قسمين على ما يبدو ، القسم الاول رسالة صغيرة يقدم بها ياقوت الرسالة الاصلية ، والقسم الثاني هي الرسالة الاصلية وهي بعد البسملة والحمدلة : « كان المملوك ياقوت بن عبدالله الحموي قد كتب

هذه الرسالة من الموصل في سنة سبع عشرة وستمائة ، حين وصوله من خوارزم طريد التتر ، أبادهم الله تعالى ، الى حضرة مالك رقه ، الوزير جمال الدين القاضي الاكرم ، أبي الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالواحد الشيباني ، ثم التيمي تيم شيبان ، بن ثعلبة بن عكابة ، أسبغ الله عليه ظله ، وأعلى في درجة السيادة محله ، وهو يومئذ وزير صاحب حلب والعواصم ، شرحا لأحوال خراسان وأحواله ، وايماء(٧٥) الى بدء أمره بعدما فارقه ومآله ، وأحجم عن عرضها على رأيه الشريف ، اعظاما وتهيبا ، وفرارا من قصورها عن طوله وتجنبا ، الى أن وقف عليها جماعة من منتحلي صناعة النظم والنثر ، فوجدهم مسارعين الى كتبها ، متهافتين على نقلها . وما يشك أن محاسن مالك الرق حلتها ، وفي(٧٦) أعلى درج الاحسان أحلتها ، فشجعه ذلك على عرضها على مولاه ، وللآراء علوها في تصفحها ، والصفح عن زللها ، فليس كل من لمس درهما صيرفيا ، ولا كل من اقتنى درا جوهريا . وها هي:

بسم الله الرحمن الرحيم ، أدام الله على العلم وأهليه ، والاسلام وبنيه ، وما سوغهم وحباهم ، ومنحهم وأعطاهم ، من سبوغ ظل المولى الوزير ، أعز الله أنصاره ، وضاعف مجده واقتداره ، ونصر ألويتــه وأعلامه ، وأجرى باجراء الأرزاق في الآفاق أقلامه ، وأطال بقاه ، ورفع الى عليين علاه(٧٧) ، في نعمة لا يبلى جديدها ، ولا يحصى عددها ولا عديدها ، ولا ينتهي الى غاية مديدها ، ولا يفل حـدها ولا حـديدها ، ولا يقـل وادها ولا ديـدها . وأدام دولته للدنيا والدين ، يلم شعثه ، ويهزم كرثه(٧٨) ، ويرفع مناره ، ويحسن بحسن أثره آثاره ، ويفتق نوره وأزهاره ، وينير نواره ، ويضاعف أنواره . وأسبغ ظلـــه للعلوم وأهليها ، وللآداب ومنتحليها ، والفضائل وحامليها . يشيد بمشيد فضله بنيانها ، ويرصع بناصع مجده تيجانها ، ويروض بيانع علائه زمانها ، ويعظم بعلو همته الشريفة بين البرية شانها ، ويمكن في أعلى درج الاستحقاق امكانها ومكانها ، ويرفع بنفاذ الامر قـدره للدول الاسلامية ، والقواعد الدينية ، يسوس قواعدها ، ويعين مساعدها ، ويهين معاندها ، ويعضد بحسن الايالة معاضدها ، وينهج بجميل المقاصد مقاصدها ، حتى يعود حسن تدبيره غرة في جبهة الزمان ، وسنة يقتدى بها من طبـع على العـدل والاحسان ، يكون له أجـرها ما دام الملوان وكر الجديدان(٧٩) ، وما أشرقت من الشرق شمس ، وارتاحت الى مناجاة حضرته الباهرة(٨٠) نفس .

وبعد ، فالمملوك ينهي الى المقر العالي المولوي ، والمحل الاكرم العلي ، أدام الله سعادته مشرقة النور ، مبلغـة السول ، واضحة الغرر ، بادية الحجول(٨١) ، ما هو مكتف بالاريحية المولوية عن تبيانه ، مستغن بما منحتها من صفاء الآراء عن امضاء قلمه لايضاحه وبيانه ، قد أحسبه ما وصف به عليه الصلاة والسلام المؤمنين « وان من امتي لمكلمين » ، وهو شرح ما يعتقده من الولاء ، ويفتخر به من التعبد للحضرة الشريفة والاعتزاء ، وقد كفته تلك

الالمعية ، عن الاظهــــار المشبه بالملق مما تجنه[٨٢] الطوية ، لأن دلائل غلو المملوك في دين ولائه في الآفاق واضحة ، وطبيعة سكة اخلاص الوداد باسمه الكريم على صفحات الدهر لائحة ، وايمانه بشرائع الفضل الذي طبق الآفاق، حتى أصبح بناء المكارم متين ، وتلاوته لاحاديث المجد القريبـــة الاسانيد بالمشاهدة لديه مبين ، ودعا أهل الآفاق الى المغالاة في الايمان بامامة فضله الذي تلقاه باليمين ، وتصديقه بملة سودده الذي تفرد بالتوخي لنظم شارده وضم مبدده بعرق الجبين[٨٣] ، حتى قد أصبح للفضل كعبة لم يعترض حجها على من استطاع اليه السبيل ، ويقتصر بقصدها على ذوي القــدرة دون المعتر [٨٤] وابن السبيل ، فان لكل منهم حظا يستمده ونصيبا يستعد به ويعتده ، فللعظماء الشرف الضخم من معينه ، وللعلماء اقتناء الفضائل من قطينه ، وللفقراء توقع الامان من نوائب الدهر وغض جفونه ، وفرضوا من مناسكه للبهجة الشريفة السلام والتبجيل • وللكف البسيطة الاستلام والتقبيل • وقد شهد الله تعالى للمملوك أنه في سفره وحضره ، وعلنه وسره وخبره ومخبره ، شعاره تقطير مجــالس الفضلاء ومحافل العلماء بفوائد حضرته ، والفوائد المستفادة من فضيلته ، افتخارا بذلك بين الانام ، وتطريزاً لما ياتي به في أثناء الكلام [من الطويل] :

اذا أنا شرفت الورى بقصائدي ... على طمع شـــرفت شعري بذكره

(يمنون عليك أن اسلموا ، قل لا تمنوا علي اسلامكم ، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين)[٨٥] • لا حرمنا الله ، معاشر اوليائه ، مواد فضائله المتتالية ، ولا اخلانا ، كافة عبيده ، من اياديـــه المتعالية ، اللهم رب الارض المدحيـــة[٨٦] والسموات العليـــة ، والرياح المسخرة ، والبحار المسجرة [٨٧] ، اسمع ندائي ، واستجب دعائي ، وبلغني في معاليه ، ما نؤمله ونرتجيه ، بمحمد وصحبه وذويه •

وقد كان المملوك لما فارق الجناب الشريف ، وانفصل عن مقر العز اللباب والفضل المنيف ، أراد استعتاب الدهر الكالح ، واستدرار خلف[٨٨] الزمن الغشوم الجامح ، اغترارا بأن في الحركة بركة ، والاغتراب داعيـة الاكتساب ، والمقام على الاقتار ذل وانتقال ، وجليس البيت ، في المحافل سكيت [من الطويل] :

وقفت وقوف الشك ثم استمر لي ... يقيني بان الموت خير من الفقر
فودعت من اهلي ، وبالقلب ما به ... وسرت عن الاوطان في طلب اليسر
وباكية للبين قلت لهــا : اصبري ... فللموت خير من حياة على عسر
سأكسب مــالا أو أموت ببلــدة ... يقل بها فيض الدموع على قبري

فامتطى غـــارب الامل الى الغربة ، وركب التطواف مــع كل صحبة ، قاطع الاغوار والانجاد ، حتى بلغ السد[٨٩] أو كاد ، فلم يصحب له دهره الخؤون ، ولا رق له زمانه المفتون [من البسيط] :

ان الليــالى والايـام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا

فكأنه في جفن الدهر قذى ، وفي حلقه شجا ، يدافعه بنيل (٩٠) الامنية ، حتى أسلمه الى ربقة المنية [من البسيط] :

لا يستقر بـأرض او يسـير الى أخرى لشخص قريب عزمه نائي
يوما بحزوى(٩١) ، ويوما بالعقيق(٩٢) ، ويو مـا بالعذيب(٩٣) ، ويومـا بالخليصاء (٩٤)
وتـارة ينتحـي نجـدا ، وآونـة شعب الحزون(٩٥) ، وحينا قصر تيمـاء (٩٦)

وهيهات مع حرفة الادب ، بلوغ وطر أو ادراك أرب ، ومع عبوس الحظ ، ابتسام الدهر الفظ ، ولم ازل مع الزمان في تفنيد وعتاب ، حتى رضيت من الغنيمة بالاياب(٩٧) . والمملوك مع ذلك يدافع الايام ويزجيها ، ويعـلل المعيشة ويرجيها ، متقنعا بالقناعة والعفـاف ، مشتملا بالنزاهة والكفاف ، غير راض بذلك الشمل ، ولكن مكره اخاك لا بطل ، متسليا باخوان قد ارتضى خلائقهم ، وأمن بوائقهم (٩٨) عاشرهم بالالطاف ، ورضى منهم بالكفاف ، لا خيرهم يرتجى ، ولا شرهم يتقى [من البسيط] :

ان كان لابد من اهل ومن وطن فحيـث آمن من القى ويأمنني

قد الزم نفسه أن تستعمل طرفا طماحا ، وأن يركب طرفا(٩٩) جماحا ، وأن يلحق(١٠٠) ببيض طمع جناحا ، وأن يستقدح زندا واريا وشحاحا(١٠١) [من الوافر] :

وادبني الزمـان فلا ابـالى هجرت فـلا أزار ولا ازور
ولست بقائل ما عشت يوما : أسار الجنـد أم ركب الامير

وكان المقام بمرو الشاهجان ، المفسر عندهم بنفس السلطان ، فوجد بها من كتب العلوم والاداب ، وصحائف اولي الافهام والالباب ، ما شغله عن الاهل والوطن ، وأذهله عن كل خل صفي وسكن ، فظفر منها بضالته المنشودة ، وبغية نفسه المفقودة ، فاقبل عليها اقبـال الفهم الحريص ، وقابلها بمقام لايزمع عنها محيص ، فجعل يرتع في حدائقها ، ويستمتع بحسن خلقها وخلائقها ، ويسرح طرفه في طرفها ، ويتلذذ بمبسوطها ونتفها ، واعتقد المقام بذاك الجناب ، الى ان يجاور التراب [من الوافر] :

اذا مـا الـدهر بيتني بجيش طليعتـه اغتمـام واغتراب
شننت عليه من جهتي كمينـا أميراه الذبالـة والكتـاب
وبت أنص من شـيم الليـالي عجائب من حقائقها ارتياب
بها اجلـو همومي مستريحـا كما جلى همومهـم الشراب

الى ان حدث بخراسان ما حدث من الخراب ، والويل المبير(١٠٧) والتباب(١٠٣) ، وكانت لعمر الله بلادا موفقة الارجاء ، رائقة الانحاء ، ذات رياض اريضة ، وأهوية صحيحة مريضة ، وقد تغنت اطيارها ، فتمايلت طربا اشجارها ، وبكت انهارها ، فتضاحكت أزهارها ، وطاب روح نسيمها ، فصح مزاج اقليمها * ، ولعهدي بتلك الرياض الانيقة ، والاشجار المتهدلة الوريقة ، وقد ساقت اليها ارواح الجنائب(١٠٤) زقاق خمر السحائب ، فسقت مروجها سدام الطل ، فنشأ على أزهارها حباب كاللؤلؤ المنحل ، فلما رويت من تلك الصهباء اشجاره ، رنحها من النسيم خماره ، فتدانت ولا تداني المحبين ، وتعانقت ولا عناق العاشقين ، يلوح من خلالها شقائق قد شابه اشتقاق الهوى العليل ، فشابه شفتي غادتين دنتا للتقبيل ، وربما اشتبه على النحرير بائتلاف الخمر ، وقد انتابه رشاش القطر ، ويريه بهارا يبهر ناضره ، فيرتاح اليه ناظره ، كانه صنوج من العسجد ، أو دنانير من الابريز تنقد ، ويتخلل ذلك اقحوان تخاله ثغر المعشوق اذا عض خد العاشق ، فلله درها من نزهة وامق(١٠٥) ولون رائق • وجملة أمرها انها كانت أنموذج الجنة بلا مين(١٠٦) ، فيها ما تشتهي الانفس وتلذ العين ، قد اشتملت عليها المكارم ، وارجحنت(١٠٧) في أرجائها الخيرات الفائضة للعالم ، فكم فيها من خير راقت خيره ، ومن امام توجب حياة الاسلام سيره ، آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة ، وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة(١٠٨) ، والى كل قطر مجلوبة ، فما من متين علم وقويم رأي الا ومن مشرقهم مطلعه ، وما من معرفة فضل الا عندهم مغربه واليهم منزعه ، وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاق الا وجدته فيهم ، ولا اعراق في طيب أعراق الا اجتنيته من معانيهم • اطفالهم رجال ، وشبابهم أبطال ، ومشايخهم أبدال(١٠٩) ، شواهد مناقبهم باهرة ، ودلائل مجدهم ظاهرة • ومن العجب العجاب أن سلطانهم المالك ، هان عليه ترك الممالك ، وقال لنفسه : اله وآلك(١١٠) ، والا فأنت في الهوالك ، واجفل اجفال الرال(١١١) وطفق اذا رأى غير شيء ظنه رجلا بل رجال (كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين)(١١٢) لكنه عز وجل لم يورثها قوما آخرين ، وتنزيها لاولئك الابرار عن مقام المجرمين ، بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين ، وبلاهم فالفاهم صابرين ، فالحقهم بالشهداء الابرار ، ورفعهم الى درجات المصطفين الاخيار (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وانتم لاتعلمون)(١١٣) فجاس خلال تلك الديار أهل الكفر والالحاد ، وتحكم في تلك الاستار أولو الزيغ والعناد ، فأصبحت تلك القصور ، كالممحو من السطور ، وأمست تلك الاوطان ، مأوى للأصداء والغربان ، يتجاوب في نواحيها البوم ، ويتناوح في أراضيها الريح السموم ، يستوحش فيها الانيس ، ويرثى لمصابها ابليس [من الطويل] :

كأن لم يكن فيها أوانس كالدمى   وأقيال ملك في بسالتهم أسد

فمن حـــاتم في جوده وابن مامـة ومن احنف ان عـد حلم ومن سعد
تداعي بهم صرف الزمان فاصبحوا لنا عبرة تدمي الحشـا ولمن بعـد

فانا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر ، وتهدم العمر ، وتفت في العضد ، وتوهي الجلد ، وتضاعف الكمـــد ، وتشيب الوليد ، وتنخب لب الجليد ، وتسود القلب ، وتذهل اللب · فحينئذ تقهقر المملوك على عقبه ناكصا ، ومن الاوبة الى حيث تستقر فيه النفس بالأمل آيسا ، بقلب واجب ، ودمع ساكب ، ولب عازب ، وحلم غائب ، فتوصل ، وما كاد ، حتى استقر بالموصل بعد مقاساة أخطار ، وابتلاء واصطبار ، وتمحيص(١١٤) الاوزار ، واشراف غير مرة على البوار والتبار (١١٥) ، لانه مر بين سيوف مسلولة ، وعساكر مفلولة ، ونظام عقود محلولة ، ودماء مسكوبة مطلولة ، وكان شعاره كلما علا قتبا(١١٦) ، أو قطع سبسبا (١١٧) (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) (١١٨) فالحمد لله الذي أقدرنا على الحمد ، وأولانا نعمة تفوت الحصر والعد ، وجملة الامر أنه لولا فسحة في الاجل ، لعز ان يقال سلم البائس او وصل ، ولصفق عليه أهل الوداد صفقة المغبون ، والحق بالف الف الف الف هالك بايدي الكفار او يزيدون ، وخلف خلفه جل ذخيرته ، ومستمد معيشته [من الطويل] :

تنكر لي دهري ولـم يـدر انني اعـز واحـداث الزمان تهـــون
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه وبت اريـــه الصبر كيف يكون

وبعد ، فليس للمملوك ما يسلي به خاطره ، ويعزي به قلبه وناظره ، الا التعلل بازاحة العلل ، اذا هو بالحضرة الشريفة مثل [من البسيط] :

فاسلم ودم وتمل العيش في دعـة ففي بقائك ما يسلي عن السلف
فانت للمجد روح والورى جسـد وانت در فـلا تأس على الصدف

والمملوك الآن بالموصل مقيم ، يعـــالج لما حزبه من هذا الامر المقعد المقيم ، يزجي وقته ويمارس حرفته وبخته ، تكاد تقول له باللسان القويم (تا الله انك لفي ضلالك القديم)(١١٩) يذيب نفسه في تحصيل اغراض ، هي لعمر الله اعراض ، من صحف يكتبها ، واوراق يستصحبها ، نصبه فيها طويل ، واستمتاعه بها قليل ، ثم الرحيل ، وقد عزم بعد قضاء نهمته ، وبلوغ بعض وطر قرونته ، ان يستمد التوفيق ، ويركب سنن الطريق ، عساه ان يبلغ امنيته ، من المثول بالحضرة ، واتحاف بصره من خلالها ولو بنظرة ، ويلقي عصا الترحال بفنائها الفسيح ، ويقيم تحت ظل كنفها الى ان يصادفه الاجل المريح ، وينظم نفسه في سلك مماليكها لحضيرتها ، كمـــا ينتمي اليها في غيبتها ، ان مدت السعادة بضبعه(١٢٠) ، وسمح له الدهر بعد الخفض برفعه ، فقد ضعفت قواه عن درك الآمال ، وعجز عن معاركة الزمان والنزال ، اذ ضمت البسيطة اخوانه ، وحجب الجديدان اقرانه ، ونزل المشيب بعذاره ، وضعفت قوى أوطاره ، وانقض باز الشيب عـلى

غراب شبابه فقنصه ، وتبدلت محاسنه عند احبابه مساوي وخصصه ، واكب نهار الحلم على ليل الجهل فوقصه ، واستعاض من حلـة الشباب القشيب ، خلق الـكبر والمشيب [من الرمل] :

وشـباب بـسان مني وانقضـى قبـل ان أقضي منــه اربي
مـا ارجي بعــده الا الفنــا ضيق الشـيب على مطلبـي

ولقد ندب المملوك ايام الشباب بهذه الابيات ، وما أقل غناء الباكي على من عد في الرفات [من الطويل] :

تنكر لي مذ شبت دهري فأصبحت معارفه عنـدي من النكرات
اذا ذكرتها النفس حنت صبابـة وجادت شـؤن العين بالعبرات
الى أن اتى دهر يحسن ما مضـى ويوسعني من ذكـره حسرات
فكيف ولمـا يبق من كأس مشربي سوى جرع في قعـره كـدرات
وكـل اناء صـفوه في ابتـدائه ويرسب في عقبـاه كل قـذاة

والمملوك يتيقن أنه لا يتفق لهذا القدر الذي مضى ، الا النظر اليه بعين الرضا ، ولرأى المولى الوزير الصاحب ، كهف الورى في المشارق والمغارب ، فيما يلاحظه منه بعادة مجده ، مزيد مناقب ومراتب ، والسلام ·

---

(١) W. Barthold: Turkestan down to the Mongol invasion, Second ed.. London, 1928 p. 381 ff.

(٢) انظر بحث الدكتور جعفر حسين خصباك : الاحتلال المغولي للعراق ص ١١٠ [مجلة كلية الاداب والعلوم العدد الثالث ، حزيران ١٩٥٨] ·

(٣) انظر عن هؤلاء المؤرخين وقيمة كتبهم المقدمة الرائعة التي كتبها الاستاذ بارتولد في كتابه الآنف الذكر · ولم تظهر في الواقع الى الان دراسة فاقت دراسته هذه :
W. Barthold: op. cit. pp. 37-58.

وانظر أيضا : عباس العزاوي : التعريف بالمؤرخين في (بغداد ١٩٥٧) ·

(٤) وفي رواية سنة ٥٧٥ · راجع ابن خلكان : وفيات الاعيان وأنباء أبنـاء الزمان (ط · محمد محي الدين عبدالحميد · القاهرة ١٩٤٩) ج٥ ص ١٨٩ · وسأشير لـه « ابن خلكان » ·

(٥) أنظر عن حياة ياقوت مثلا : ابن خلكان ج٥ ص ١٧٨ـ١٨٩ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة (ط · دار الكتب المصرية) ج٨ ص ١٨٧ ؛ اليافعي : مرآة الجنان ج ٤ ص ٥٩ـ٦٣ ؛ مقدمة معجم الادباء (ط · مصر) ج١ ص ١٨ـ٤٤ ؛ عباس العزاوي : التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ١٠ـ١٤ · وعن مصادر أكثر أنظر
Ensyclopedia of Islam Art. Yakut Al-Rumi

وبحث الاستاذ وديع جويدة :
The Introductory chapters of Yaqut's Mu'jam Al-Buldan, Leiden 1959;

اما عن مؤلفاته فانظر :
C. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur vol. I p. 479; Suppl. vol. I p. 880.

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان (ط · بيروت ١٩٥٥ـ١٩٥٧) ج٥ ص ٣٩٦ وساشير له « معجم البلدان » ·

(٧) ن ٠ م ٠ ج٢ ص ١٣ ٠
(٨) ابن خلكان ج٥ ص ١٧٨ ٠
(٩) ابن خلكان ج ٥ ص ١٧٨ ٠
(١٠) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٦–٣٠٧ ٠
(١١) يقول كراتشكوفسكي ان ياقوت امضى عامين بنيسابور ٠ انظر : اغناطيبوس كراتشكوفسكي تاريخ الادب الجغرافي العربي ٠ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ٠ القاهرة ١٩٦٣ ، القسم الاول ص ٣٣٩ ٠ ويبدو أن هذا وهم منه لان ياقوت ترك مرو سنة ٦١٦ هـ بعد ان استوطنها ثلاث سنوات (معجم البلدان ج ٥ ص ١١٤) وكان قد وصل نيسابور سنة ٦١٣ كما اشرنا اعلاه ٠
(١٢) معجم البلدان ج ٢ ص ١٩٩ ؛ ج ٥ ص ١١٤ ٠ ويقول ياقوت في رسالته الى الوزير القفطي : « وكان المقام بمرو الشاهجان » ٠ ابن خلكان ج ٥ ص ١٨٤ ٠
(١٣) معجم البلدان ج ٢ ص ٤٥١ ٠
(١٤) ن٠م٠ ج ٢ ص ١٩٩ ٠
(١٥) ن٠م٠ ج٢ ص ٤٥١ ٠
(١٦) من أعمال خوارزم من أعاليها ٠ بينها وبين الجرجانية ، مدينة خوارزم ، ثلاثة ايام ٠ معجم البلدان ج١ ص ١٤١ ٠
(١٧) معجم البلدان ج١ ص ١٤١ ٠
(١٨) ن٠م٠ ج٥ ص ٤٠٤ ٠
(١٩) ن٠م٠ ج٢ ص ١٢٣ ؛ ج٥ ص ٣١٠ ٠
(٢٠) ن٠م٠ ج٢ ص ١٨٤ ٠
(٢١) ن٠م٠
(٢٢) هي غير الاقليم المشهور بهذا الاسم ٠
(٢٣) معجم البلدان ج٣ ص ٣٧٧ ٠
(٢٤) ن٠م٠ ج٣ ص ٢٥٤ ٠
(٢٥) ن٠م٠ ج١ ص ٥٢٦ ٠
(٢٦) ن٠م٠ ج٣ ص ١١٧ ٠
(٢٧) ن٠م٠ ج٢ ص ٣٨١–٣٨٢ ٠
(٢٨) ن٠م٠ ج١ ص ١٤٥ ٠
(٢٩) ن٠م٠ ج١ ص ٢٠٢ ٠
(٣٠) ن٠م٠ ج١ ص ٣٥١ ٠
(٣١) ن٠م٠ ج١ ص ٢٠٢ ٠
(٣٢) انظر : ابن خلكان ج٥ ص ١٧٩ ٠
(٣٣) معجم البلدان ج٤ ص ١٨١ ، وابن خلكان ج٥ ص ١٧٩ ٠
(٣٤) ابن خلكان ج٥ ص ١٨٦–١٨٧ ٠
(٣٥) مقدمة معجم البلدان ص حيث اهدى ياقوت مسودة المعجم للوزير القفطي سنة ٦٢١ هـ ٠
(٣٦) معجم البلدان ج١ ص ٢٨٣ ٠
(٣٧) ن٠م٠ ج١ ص ٢٥٠ ٠
(٣٨) ابن خلكان ج٥ ص ١٨٩ ٠ وانظر عن الاختلاف في وفاته ، في مجلة الرسالة ج١٠ العدد ٤٩٤ ؛
(٣٩) منسوب الى الشريف ابي الحسن علي بن أحمد بن محمد العلوي الزيدي المولود سنة ٥٢٩ هـ والمتوفي في شوال سنة ٥٧٥ هـ ٠ وهو الجامع القبلاني الحالي ٠ ويرى الدكتور

مصطفى جواد ان قبره قرب باب المدرسة المستنصرية ٠ انظر : دليل خارطة بغداد المفصل ص ١٧٤ ـ ١٧٥ ٠

(٤٠) منسوب الى دنيار بن عبدالله من موالي الرشيد ٠ ويرى الاستاذ الدكتور المحقق ، مصطفى جواد انه شارع المأمون الحالي ٠ انظر التفاصيل في : دليل خارطة بغداد المفصل ص ٦٨ـ١١٩ ٠

(٤١) ابن خلكان ج٥ ص ١٨٩ ٠

(٤٢) تناول عدد من الكتاب هذا السفر النفيس بدراسات مختلفة لم تحض بها الا عدد قليل من الكتب فقد جمع باربيه دي فيسار المادة الموجودة في المعجم عن ايران ونسقها ، وفي ١٨٦٣ جمع لودوف كرهل منه ما يختص بالديانة الجاهلية عند العرب ، وجمع فلهاوزن النصوص الموجودة في المعجم من كتاب الاصنام لابن الكلبي وذلك قبل طبعه سنة ١٩١٤ بمصر ٠ وقام اوتولوث بدراسة الحرات في شبه جزيرة العرب استنادا الى ياقوت سنة ١٨٦٨ ٠٠٠ الخ من المقالات والبحوث الكثيرة ٠ أنظر عن ذلك بحث الاستاذ جويدة :

The Introductory chapters of Yaqut's Mu'jam Al-Buldan pp. X-XIII.

(٤٣) انظر ترجمته في : ياقوت : معجم الادباء (ط٠مرغليوث) ج٥ ص ٤٧٧ـ٤٩٤ ؛ السيوطي : بغية الوعاة ص ٣٨٥ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٥ ص ٢٣٦ ؛ وانظر المقدمة التي كتبها محمد أبو الفضل لكتاب انباه الرواة ص ٩ـ٣٠ ٠٠ الخ ٠

(٤٤) ابن خلكان ج٥ ص ١٨٠ـ١٨٨ ٠

(٤٥) ن٠م٠ ج٥ ص ١٨٠ ٠

(*) انظر كتب القفطي في :

Brockelmann: Op. Cit. vol. I 396; Suppl. vol. I p. 559.

(٤٦) معجم البلدان ج٢ ص ٣٩٨ ؛ ج٥ ص ٣٣٢ ٠ قارن ابن الاثير : الكامل في التاريخ (ط ٠ بولاق ١٢٩٠) ج١٢ ص ١٤٩ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر (ط٠بيروت ١٩٥٩) ج ٥ص ٠

(٤٧) معجم البلدان ج١ ص ١٧٩ـ١٨٠ ٠ وأنظر الرسالة في ابن خلكان ج٥ ص ١٨٦ « بل ابتلاهم فوجدهم شاكرين ، وبلاهم فالفاهم صابرين » ٠

(٤٨) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٩ ٠

(٤٩) معجم البلدان ج١ ص ١٧٩ ٠ قارن ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٥٣ عن شخصية خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش وحكمه عليه ٠

(٥٠) معجم البلدان ج١ ص ١٧٩ ٠ والخانية هم الذين يسمون ايضا القرهخانية ٠ أما الخطا فيسمون أيضا : « الخطايية » والقرهخطا ٠ ولفظ : قره أو قرا ، لفظ تركي معناه أسود ٠

(٥١) معجم البلدان ج٥ ص ٤٧ ٠

(٥٢) ن٠م٠ ج٣ ص ١٧٠ ٠

(٥٣) ن٠م٠ ج٣ ص ٣٧٧ ؛ ج٥ ص ٣١٠ ٠ قارن ابن الاثير ج ١٢ ص ١٥٢ ، ١٥٦ ٠

(٥٤) ابن خلكان ج٥ ص ١٨٦ ٠

(٥٥) معجم البلدان ج٥ ص ٣٣٢ ٠

(*) انظر فتح نيسابور في ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٦٢ ٠

(**) محمد بن أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ٠ تحقيق حافظ أحمد حمدي ٠ القاهرة ١٩٥٣م ص ١١٧ـ١١٩ ٠

(***) 'At-Malik Juvain: The History of the World-Conqueror, translated from the Persian by J. A. Boyle, Manchester, 1958, pp. 169-178.

(٥٦) ابن خلكان ج٥ ص ١٧٨ ٠

(٥٧) ابو شامة : تراجم رجال القرنين السادس والسابع ص ١٩٨ ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ج١ ص ٨٥ـ٨٦ ؛ الذهبي : دول الاسلام ج٢ ص ١١٨ ؛ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج٢ ص٣١٣ ؛ السبكي : طبقات الشافعيـة الـكبرى ج٥ ص ١٠٩ـ١١٢ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ج٢ ص ٤٢٠ـ٤٢١ ٠٠٠ الخ ٠

(٥٨) الدكتور جعفر حسين خصباك : الاحتلال المغولي للعراق ص ١٣٤ـ١٣٩ (مجلة كلية الاداب والعلوم ، العدد الثالث ، حزيران ١٩٥٨) ٠ ومما تجدر الاشارة له ان استاذنا الفاضل الدكتور خصباك هو أول من شك في هذه التهمة وبين خطئها ٠

(٥٩) معجم البلدان ج٥ ص٣٣٢ ٠ قارن ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص١٦١ عن استعمال الفلاحين في القتال ايضا ٠

(٦٠) ابن الاثير : الكامل ج١٢ ص ١٤٧ ٠

(٦١) معجم البلدان ج١ ص ١٧٩ـ١٨٠ ٠

(٦٢) ن٠م٠ ج٥ ص ٣٣٢ ٠

(٦٣) ابن خلكان ج٥ ص ١٨٦ ٠

(٦٤) معجم البلدان ج٣ ص ٣٠٦ـ٣٠٧ ٠

(٦٥) ن٠م٠ ج٥ ص ٣٩٦ ٠

(٦٦) ن٠م٠ ج٣ ص ٢٠٤ ٠

(٦٧) ن٠م٠ ج٢ ص ١٢٣ ٠

(٦٨) ن٠م٠ ج١ ص ١٨٠ ٠

(٦٩) ن٠م٠ ا ج ص١٤٥ ؛ ج١ ص٥٣٣ ، وقارن ابن الاثير : الـكامل مثـلا ج١٢ ص ١٤٨ـ١٥١ـ١٦٢ ٠

النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ص ١١٧ـ١١٩ ، ١٣٠ـ١٣١ ٠٠الخ٠

(٧٠) ن٠م٠ ج٢ ص ١٣ ٠ قارن ابن الاثير ج١٢ ص ١٥٤ ، ١٦١ ٠

(٧١) ن٠م٠ ج١ ص ١٤٥ ٠

(٧٢) ن٠م٠ ج١ ص ٥٣٣ ٠

(٧٣) انظر : Sylres : A History of Persia pp. 55-56.

(٧٤) ابن خلكان ج٥ ص ١٨٠ـ١٨٨ ٠

(٧٥) في الاصل : ابماء (بالباء المنقوطة بواحدة من تحت) ٠

(٧٦) في الاصل : وقى (بالقاف) ٠

(٧٧) في الاصل : علاء ٠

(٧٨) الـكرث : الغم ٠ ويقال كرثه الغم يكرثه اذا اشتد عليه وبلغ منه المشقة ٠ انظر : الجوهري : الصحاح (ط ٠ أحمد عبدالغفور ـ القاهرة ١٣٧٧هـ) ج١ص ٢٩٠ ٠

(٧٩) الملوان والجديدان : الليل والنهار ٠

(٨٠) في الاصل : الباهرة (بالمهملة) ٠

(٨١) والتحجيل : بياض في قوائم الفرس ، الجوهري ٤ـ١٦٦٦ ٠

(٨٢) تجنه : تكنه وتخفيه ٠ واجننت الشيء في صدري : اكننته ٠ الصحاح ٥ـ٢٠٩٣ ٠

(٨٣) في الاصل : الحبين (بالحاء المهملة) ٠

(٨٤) العتر : العتيرة ، وهي شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم ٠ [الصحاح ٢ـ٧٣٦] والظاهر انه يريد بالمعتر هنا ، من يعيش على أكل ذبائح النذور ٠

(٨٥) الحجرات ١٧ ٠

(٨٦) قال محقق وفيات الاعيان في الهامش : ان الفصيح في العربية « مدحوة » ٠

(٨٧) المسجورة : المملوءة ٠ وسجرت النهر : ملئته ٠ وسجرت الثماد ، اذا ملئت

من المطر ، وذلك الماء سجرة ، والجمع سجر • ومنه البحر المسجور • [الصحاح ٢_٦٧٧] •

(٨٨) الخلف : حلمة ضرع الناقة القادمان والآخران • وهنا استعمل الزمن بدل الناقة • [الصحاح ٤ـ١٣٥٥] •

(٨٩) يريد به سد يأجوج ومأجوج • انظر معجم البلدان ج٣ ص ١٩٧ـ٢٠٠ •

(٩٠) في الاصل : بنبل (الحرف الثالث معجم بواحدة من تحت) •

(٩١) حزوى : موضع بنجد في ديار تميم ، وقال الازهري جبل من جبال الدهناء مررت به • انظر : معجم البلدان ج٢ ص ٢٥٥ـ٢٥٦ •

(٩٢) العقيق : اسم لكل مسيل ماء شقه السيل في الارض فانهره ووسعه • وفي بلاد العرب عدة أعقة منها عقيق عارض اليمامة ، وعقيق بناحية المدينة ، وهما عقيقان الاكبر والاصغر • ومنها أيضا عقيق البصرة •• الخ ، ويبدو لي أن الشاعر أراد بالعقيق هنا عقيق المدينة لانه المشهور •انظر : معجم البلدان ج٤ ص ١٣٨ـ١٤١ •

(٩٣) العذيب : تصغير العذب ، وهو الماء الطيب : وهو ماء بين القادسية والمغيثة • راجع معجم البلدان ج٤ ص٩٢ •

(٩٤) الخليصاء : تصغير الخلصاء : موضع • معجم البلدان ج٢ ص ٣٨٦ •

(٩٥) اسم موضع •

(٩٦) قصر تيماء : بليد في اطراف الشام بين الشام ووادي القرى ، على طريق حاج الشام ودمشق • انظر معجم البلدان ج٢ ص٦٧ • والابيات الثلاثة لعبدالله بن أحمد بن الحارث شاعر بني عباد • وبين الموجود هنا وبين التي في معجم البلدان ج٢ ص ٣٨٦ اختلاف بسيط •

(٩٧) في الاصل : الاباب (بالباء المعجمة بواحدة من تحت) •

(٩٨) بوائقهم : دواهيهم وشرورهم • والبائقة : الداهية • وفي الحديث : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه • » قال قتادة : أي ظلمه وغشمه [الصحاح ٤ـ١٤٥٢] •

(٩٩) الطرف : الكريم من الخيل • يقال فرس طرف من خيل طروف • [الصحاح ٤ـ١٣٩٣] •

(١٠٠) كذا في الاصل • وقال محقق الوفيات : ولعل أصله « وان يلبس بيض طمع جفاها • » •

(١٠١) الوشاح : شيء ينسج من أديم عريضا ويرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقيها [الصحاح ١ـ٤١٥] •

(١٠٢) المبير : من البوار وهو الهلاك • [الصحاح ٢ ـ ٥٨٩] •

(١٠٣) التباب : الخسران والهلاك • تقول منه : تب تبابا ، وتبت يداه • [الصحاح ١ ـ ٩٠] •

(١٠٤) الجنائب : جمع جنيبة وهي : الناقة تعطيها القوم ليمتاروا لك عليها • [الصحاح ١ـ١٠٢] ويريد بها هنا الارواح المطلقة غير المقيدة •

(*) اقتبسها أبو الثناء الالوسي في وصفه للقسطنطينية • والطريف في الامر ان مؤلف كتاب الادب الحديث للصف الثالث المتوسط قد أدخلها في الكتاب باعتبارها للالوسي ممثلة لعصره •

(١٠٥) الوامق : المحب • والمقة : المحبة ، والهاء عوضا عن الواو • [الصحاح ٤/١٥٦٨]•

(١٠٦) الميق : من مانه يمونه مونا ، اذا احتمل مؤونته وقام بكفايته [٦/٢٢٠٩] أي انها شبيهة بالجنة بلا تكلف •

(١٠٧) ارجحنت : تمايلت ومعناها هنا انتشرت • [الصحاح ١/٣٦٤] •

(١٠٨) في الاصل : محسوبه (بالهاء المهملة) •

(١٠٩) الابدال : قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم ، اذا مات واحد أبدل الله مكانه

بآخر . قال ابن دريد : الواحد : بديل . [الصحاح ٤/١٦٣٢] .

(١١٠) أي انهزم .

(١١١) الرأل : ولد النعام . وحذفت الهمزة حتى تتلائم مع المسجعة .

(١١٢) الدخان ٣٥ .

(١١٣) ص ٢١٦ .

(١١٤) في الاصل : وتمحيص .

(١١٥) التبار : الهلاك . وتبره تتبيرا ، أي كسره وأهلكه [الصحاح ٢/٦٠٠] .

(١١٦) القتب ، بالتحريك : رجل صغير على قدر السنام . [الصحاح ١/١٩٨] .

(١١٧) السبسب : المفازة ، وهي الصحراء [الصحاح ١/١٤٥] .

(١١٨) الكهف ٦٣ .

(١١٩) يوسف ٩٥ .

(١٢٠) الضبع : العضد . [الصحاح ٣/١٢٤٧] .

